شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

الجولة الاخيرة في لبنان اوضحت بشكل لا يرقى اليه شك ، موقف الانعزاليين من الوجود الفلسطيني بكل ما يعنيه من بشر وقضية ومقاومة . فهذا الوجود هو المستهدف وهو المعني في الصراع . ولم يكن هذا الموقف، الذي سنورد شواهده بعد قليل ، احد نتائج الصراع المسلح الاخير ، بمعنى ان موقف الانعزاليين اللبنانيين من الوجود الفلسطيني لم يتقرر من خلال معطيات الصراع نفسه ونتائجه ، وانما هو موقف يكمن في خلفية الصراع وتحكمه دواع اقتصادية وسياسية وايديولوجية صنعت السبب او الحافز الذي بدوافعه خاضت القوى الانعزالية معركتها الطويلة . واذا كانت هذه المعركة قد اتخذت لها اكثر من بعد ، بعضه اجتماعي ـ اقتصادي وبعضه لبس لبوسا طائفيا ، فان الوجود الفلسطيني ، او بتعبير اكثر دقة الحضور الفلسطيني في لبنان كان يشكل الهدف الرئيسي الذي ترتبط به الاهداف الاخرى اقتران السبب بالنتيجة ، والذي باصابته تتحقق اصابة جملة اهداف دفعة واحدة . والحضور الفلسطيني الذي نعني هنا هو ما يمثله الفلسطينيون كمجموعة سكانية ، وكقضية ، وكمقاومة ، من تأثير في تقرير ملامح الصورة اللبنانية ، وباعتبارهم احد مكونات ميزان القوى السياسية ـ الاجتماعية في لبنان ، ليس من خلال وجودهم افرادا ، وانما من خلال ما يمثلون من حالة سياسية مستقطبة ، فاعلة فيما حولها ، وقادرة على اثبات ذاتها .

وقد ظهرت هذه الحالة مع دخول الثورة الى المخيمات واصبح بعدها لـ «الفلسطينية» معنى محدد توحد فيه الوجود الفلسطيني من حيث هو مجموعة سكانية مع الهوية النضالية للشعب ، بحيث اصبح تعبير « الفلسطيني » مرادفا لكل ما هو نضالي بحركيته وتأثيره فيما عداه .

وموضوع المخيمات الفلسطينية في لبنان شاهد ماثل على هذه الحقيقة . ذلك باننا نرى ان الوجود الفلسطيني لم يكن من حيث هو وجود موضع رفض مطلق في لبنان عندما كانت « الفلسطينية » مقترنة بهوية اللاجىء. فسكان المخيمات الفقراء كانوا مشتلا يمنح منه الرأسمالي الوف العمال مهضومي الحقوق الذين يرضون بأجر اقل وبشروط عمل اقسى. والبرجوازية الفلسطينية التي لجأت الى لبنان وتمكنت من نقل ثرواتها اليه اسهمت في ازدهار الاقتصاد اللبناني واضافت لبنة اليه واصبحت جزءاً منه . حتى الشباب الذين انخرطوا في الاحزاب والحركات الوطنية (ذات الافق القومي) لم يمثلوا حالة تهدد المؤسسة اللبنانية ما دامت قادرة على القمع من جهة ، ومتمكنة من الهيمنة على موارد عيش هؤلاء الشباب من جهة ثانية .

غير ان الحال تبدلت مع دخول المقاومة